معالم تحقيق وحدة القرآن عند البقاعي
من خلال
مخطوط دلالة البرهان القويم
الجزء "الثاني".

أمينة رابع *

المقدمة : الحمد لله الذي أنزل القرآن منتظم المباني، متسق المعاني، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد العدنان وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان، أما بعد:

في أعداد سابقة من مجلة المخطوطات تدارسنا معالم منهج البقاعي في بيان وحدة السورة القرآنية ولا تكتمل نظرية الوحدة عنده إلا من خلال تناولها على مستوى القرآن ككل.

من أجل هذا نحاول في هاته الدراسة إتمام ما كان، وذلك من خلال توضيح معالم وحدة القرآن من خلال مخطوط دلالة البرهان القويم، وقبل البسط في المقصود يجب مناقشة قضية مهمة تتوقف عليها نظرية وحدة القرآن الكريم وهي هل ترتيب سور القرآن الكريم هو توقيفي توفيقي وما وقف البقاعي منه ؟

---

* كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية جامعة وهران

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

المطلب الأول: الترتيب بين السور في القرآن الكريم ورأي البقاعي فيه .

قبل الحديث عن أراء العلماء في ترتيب السور في المصحف وهل هو من مقاصد الشارع الحكيم، لابد من توطئة تضبط من خلالها بعض المفاهيم اللغوية والاصطلاحية.

تعريف السورة :

لغة: هي مشتقة في اللغة من التسور أي التصاعد ، والتركيب ، أو من السور ، والذي يحمل معنى الإحاطة كسور المدينة .

كما تطلق السورة في اللغة على المنزلة الرفيعة، قال الشاعر :

ألم ترى أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك حولها يتذبذب[1]

أما اصطلاحا : فهي طائفة من الآيات القرآنية مستقلة ذات مطلع ومقطع .[2]

قيل **طائفة** : حتى يحترز من الآية فهي ليست سورة.

قيل **مستقلة** : حتى يحترز من مجموع الآيات المكونة للسورة وهي لسيت سورة بل جزء منها.

ذات مطلع ومقطع : حتى يؤكد على أن اجتماع الآيات لا يكون السورة إلا بورود الأثر المبين للمطالع السور ، والمقاطع .

أولا : أراء العلماء في ترتيب سور القرآن :

قبل عرض أراء العلماء في ترتيب سور القرآن، لابد من التماس مقدمات للمطلوب.

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

المقدمة الأولى : لقد أثبتت الأحاديث الواردة في المسألة السابقة أن ترتيب الآيات في السور مقصود للشارع الحكيم .

المقدمة الثانية :وردت بعض الأحاديث تثبت أن الترتيب بين بعض السور القرآنية مقصود للشارع الحكيم لاعتناء النبي صلى الله عليه وسلم به .

روى مسلم في صحيحه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **اقرءوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران** "[3]

كما أخرج البخاري في صحيحه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه كان إذا أوى إلي فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ ، قَالَ تَعَالَى:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ .

وما أخرجه البخاري أيضاً بسنده عن ابن مسعود قال **فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ وَطه وَالْأَنْبِيَاءِ إِنَّهُنَّ مِنْ الْعِتَاقِ الْأُوَلِ** .... "[4]

وقد جاءت مرتبة في الحديث كما هي في المصحف اليوم.

ظواهر هاته النصوص تشير إلى أن ترتيب بعض السور هو مقصود للشارع فهل ترتيب كل السور مقصود للشارع الحكيم ؟

عرض أراء العلماء في ترتيب السور القرآنية: لقد اختلف العلماء في مسألة توقيفية ترتيب السور في المصحف على ثلاثة أقوال :

القول الأول :

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

ترتيب المصحف على ما هو عليه اليوم هو صنيع الصحابة ولم يكن بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، نسبه السيوطي إلي جمهور الصحابة وإلى الإمام مالك والقاضي أبو بكر بن العربي .

استدلوا باختلاف مصاحف الصحابة كمصحف علي الذي رتبت سوره على وفق النزول ومصحف ابن مسعود، وأبي.[5]

القول الثاني :

ترتيب السور على ما هو عليه اليوم توقيفي[6] وفي ذلك يقول الكرماني: "أول القرآن سورة الفاتحة، ثم البقرة، ثم آل عمران، على هذا الترتيب إلى سورة الناس، وهكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ، وهو على هذا الترتيب كان يعرضه عليه الصلاة والسلام على جبريل عليه السلام كل سنة أي :ماكان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه الصلاة والسلام في السنة التي توفي فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولا : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ البقرة: 281 ، فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي..... والدين ."[7]

قال القرطبي:" الله أنزل القرآن جملةً إلى سماء الدنيا ثم فرق على النبي – صلى الله عليه وسلم – في عشرين سنة. كانت السورة تنزل في أمر يحدث، والآية تنزل جواباً لمستخبر يسأل،... يوقف جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية ... فمن أخر سورة أو قدم سورة فهو كمن أفسد نظم الآيات ..."[8]

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

هؤلاء استندوا على تلكم الأحاديث الوادة في مدارسة جبريل والنبي للقرآن الكريم

وقالوا تلك المدارسة كانت وفق ترتيب المصحف الموجود بيننا اليوم.

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قَالَ: **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ".**[9]

كما روى البخاري عن عائشة رضي الله أنها قالت:"**أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْحَبًا بِابْنَتِي ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ فَقُلْتُ لَهَا لِمَ تَبْكِينَ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ فَقُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ فَقَالَتْ مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ أَسَرَّ إِلَيَّ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي بَكَيْتُ فَقَالَ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ".**[10]

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

تنبيه : الأحاديث السابقة لا تدل أبدا على أن مراجعة جبريل والنبي للقرآن هي على وفق ترتيب المصاحف اليوم، والقول بذلك يحتاج إلى دليل .

القول الثالث : حاول بعض العلماء الجمع بين الأحاديث السابقة، فقالوا بأن بعض السور ترتيبها توقيفي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – والبعض الآخر توفيقي رتبه الصحابة بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – .

ذهب إلي هذا القول كل من ابن عطية وأبو جعفر بن الزبير، والبيهقي في المدخل الذي قال :" بأن القرآن هو مرتب وفق ترتيب النبي إلا الأنفال وبراءة".[11]

ثانيا : موقف البقاعي من ترتيب سور القرآن الكريم من خلال دلالة البرهان القويم

من تتبع أقوال البقاعي في ترتيب سور القرآن الكريم من خلال مؤلفاته يجد أنه يحاول الجمع بين الأقوال الوادة في المسألة وذلك من خلال تبنيه لقول الحرالي و في ذلك يقول : (قال "الحراليّ" مشيرًا إلى القول الصحيح في ترتيب السور من أنّه باجتهاد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم إقرارًا لله لهذا الانتظام والترتيب السُّورِيِّ في مقررهذا الكتاب: هو ما رضيه الله فأقره..) [12]

فكأن البقاعي نظر إلى المسألة باعتبارين باعتبار جمع القرآن من قبل الصحابة وباعتبار ثان أن جمع الصحابي ليس اجتهاد محض بل هو موافق لمقاصد ومراد الباري عز وجل . فقد رتبوه ناهجين في ذلك المسلك التشريعي متعلقين بجنس ما تعلق به الشارع الحكيم.

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

ولا يمكن بحال من الأحوال للبقاعي أن يقول بغير ما قال لأنه بذلك سيهدم نظريته في وحدة القرآن الكريم لأنها قائمة على توقيفية ترتيب السور .يقول البقاعي في مقدمة مخطوط دلالة البرهان القويم :"أكثر اللطائف في الترتيبات والروابط ".13

ومن أجل أن يؤكد على أهمية نظريته سرد البقاعي كثيرا من في الأدلة في المقدمة والتي تؤكد أهمية الترتيب التوقيفي لسور القرآن الكريم بقول البقاعي :"قد أشار الله إلى هذا العلم العظيم بنظم الكتاب الحكيم على غير ترتيب النزول حتى أنه ربما ذكر المنسوخ قبل الناسخ ....ويذكر القصص تارة على ترتيبها في الوجود وأخرى على غيره .."[14]، "فالقرآن حاز أعلى البلاغة في إنزاله مطابقًا لما تقتضيه الأحوال بحسب الأزمان ، ثُمّ رتب على أعلى وجوه البلاغة بحسب ما تقتضيه المفاهيم من المقال كما نشاهده من هذا الكتاب البديع المثال البعيد المنال "[15].

المطلب الثاني: بعض معالم وحدة القرآن من خلال دلالة البرهان القويم

من النظريات الحديثة في مجال الدرس القرآني نجد نظرية الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم وفي الحقيقة أصول هاته النظرية هي قائمة في تراثنا التفسيري من أزمنة بعيدة وقد أسس لها علمائنا وعلى رأس هؤلاء البقاعي – رحمه الله تعالى – نحاول في هذا المطلب دراسة بعض تلك المعالم من خلال مخطوط دلالة البرهان القويم .

أولا :التصريح برد آخر القرآن على أوله أي برط سورة الناس بالفاتحة :

يؤسس البقاعي نظريته في وحدة القرآن الكريم من خلال الأخد المناسبات القرآنية

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

بين السور ومن أشهر مناسباته تلك الواقعة بين أول سور القرآن وآخره. فهو يعتبر القرآن كلمة واحدة وكسورة واحدة لذا يرد آخره على أوله .

وقد صرح البقاعي رحمه الله تعالى برأيه في وحدة القرآن الكريم في مواضع عديدة من كتبه يقول في آخر تفسيره لخواتم سور القرآن الكريم وفي ذلك يقول:(مقصود هذه السورة – أي سورة الناس– معلول لمقصود الفاتحة الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان ببراعة الختام ...كما أن الفاتحة شاملة لذلك لأنها براعة الاستهلال ورعاية الجلال والجمال، فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول، والدليل بالمدلول، والمثل بالممثول ."[16]

وأكد عل المعنى في موضع آخر فقال:" من المناسبات العظيمة مناسبة معناها للفاتحة ليرجع مقطع القرآن على مطلعه، ويلتحم مبدؤه بمرجعه على أحسن وجه.... وصار الاختتام مما كان به الافتتاح على الوجه الأجلي والترتيب الأولي، وبقي الاسمان الآخران على نظمهما، فيصير النظم إذا ألصقت آخر الناس بأول الفاتحة **إله ملك رب الله رب رحمٰن رحيم ملك** إعلاما بأن مسمى الاسم الأعظم هو الإله الحق ، وهو الملك الأعظم لأن له الإبداع وحسن التربية والرحمة العامة والخاصة ..." .[17]

ثانيا: الإعتماد على قاعدة النظر في المقدمات وتصاعد مقاصد السور

إن نظرية البقاعي في وحدة القرآن الكريم قائمة على أسس وقواعد وهي لا تختلف عن تلك المتعلقة بوحدة السورة وأهم تلك القواعد قاعدة المشدالي البجائي

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

الجزائري –رحمة الله عليه – القائلة بضرورة النظر في مراتب الأجزاء من أجل تحصيل المقصود وفي ذلك يقول :" الأمر الكلي المفيد لمعرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات على ما ستتبعه من استشراف السامع إلى الأحكام و اللوازم التابعة له التي تقضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن ، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلا بين كل آية و آية و كل سورة "[18].

فهاته القاعدة هي المهيمنية على نظرية الوحدة عند البقاعي سواء على مستوى السورة القرآنية أو على مستوى القرآن ككل ولم يتخلى عنها في كتابه نظم الدرر ولا حتى في مخطوطه دلالة البرهان القويم.

وعلى أساس ذلك نجد أن البقاعي يناسب بين السور و يجعل الفاتحة هي مقدمة النظر ومنها تتوالد باقي أغراض السور .

ثالثا :الربط بين السور على أساس مقاصدها

من خصائص منهج البقاعي رحمه الله البرهنة على مقصود السورة من خلال الترجمة لاسم السورة وتحقيق براعات الاستهلال ثم تجده بعد ذلك يربط بين السور الواحدة تلو الأخرى انطلاقا من سورة الفاتحة وهو منهج واحد صار عليه في نظم الدرر وكذا في ممخطوطه، ولقد صرح بذلك في مقدمة دلالة البرهان

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

القويم:"وأضبط فيه كما فعلته في أصله السورة ببيان مقصودها فإنه هاد إلى معرفة تناسبها وأدل عليه بالتطبيق بينه وبين مدلول اسمها سواء كان واحدا أو أكثر..."[19]

ثم تجده بعد ذلك يربط بين مقاصد السور المترابطة فيقول مثلا :" ..سورة الفاتحة جامعة لكلية أمر الله سبحانه وتعالى فيما يرجع إليه، وفيما يرجع إلى عبده، وفيما بينه وبين عبده، فكانت أم القرآن وأم الكتاب؛ ومثنى تفصيل ما يرجع منها إلى الكتاب المضمن سورة البقرة، ومنزل هذه السورة من مثنى تفصيل ما يرجع إلى خاص علن الله سبحانه وتعالى في الفاتحة، فمنزلة سورة آل عمران منزله تاج الراكب و منزله سورة البقرة منزلة سنام المطية..."[20].

رابعا :الربط بين أول السورة و آخر ما بعدها

من معالم تحقيق وحدة القرآن عند البقاعي رحمه الله تعالى الربط بين أواخر السور و أوائلها وقد ظهر هذا المنهج واضحا في نظم الدرر ولم يحد عنه كذلك في مختصره دلالة البرهان القويم.

وفي ذلك يقول:"سورة البقرة وتسمى الزهراء والسنام والفسطاط مقصودها إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليتبع في كل حال فيكون سالكا الصراط المستقيم.. "[21].

الخاتمة : في ختام هذا البحث نصل لمجموعة من النتائج أهمها أن البقاعي قد التزم بخدمة وحدة السورة القرآنية ووحدة القرآن الكريم ككل. كما أنه استطاع توظيف مقاصد السور القرآنية لخدمة غرضه وهو الدلالة على رتبة أجزاء القرآن .

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

تقوم نظرية وحدة القرآن على علم المناسبة من جهة من خلال تكريس الربط بين أوائل السور وخواتم ما قبلها، وتقوم كذلك على علم مقاصد السور القرآنية من جهة أخرى من خلال الربط بين مقاصدها المحصلة في بداية تفسير كل سورة .

لقد جاء مخطوط دلالة البرهان القويم من أجل تصحيح مسار البقاعي في التفسير حيث أنه تنال عن بعض الاختيارات التفسيرية بعد أن تعرض لحملة كبيرة من قبل علماء عصره .

الهوامش :

1. بن منظور، اللسان، 3/283 ، ابن فارس ، معجم مقايس اللغة ، 3/115.
2. ابن عاشور ،التحرير والتنوير 1/84، بكر إسماعيل ، مرجع سابق ، 56، الزرقاني ،مرجع سابق،3/312.
3. مسلم، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة،رقم :804 ، 1/463.
4. البخاري، صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب المعوذات، رقم: 5017. 899.5 البخاري، مصدر سابق، كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن، رقم : 4994. 896.
5. السيوطي، الإتقان ، 194/1.
6. ينسب القول إلى أبو بكر الأنباري والقاضي أبو بكر في أحد قوليه، والكرماني
7. الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، 68. . السيوطي ، الإتقان ، 1/196.
8. القرطبي، تفسير القرطبي ، 1/44.
9. البخاري، مصدر سابق،كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرقم :6 ، 4. رواه مسلم في صحيحه ،كتاب الفضائل، باب كان

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح ، رقم: 4/1438،2308 ، الفرق بين الروايتين هي تلك الزيادة الموجودة في صحيح البخاري في كل ليلة من رمضان يدارسه القرآن ، في حين في رواية مسلم " وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ"ولكن المقصود من الروايتين واحد وهو تحقيق اللقيا في كل ليلة من رمضان .

10. البخاري،مصدر سابق ،كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام ،3623، 608.

11. السيوطي ، الإتقان ، 1/198-197-196

12. نظم الدرر، البقاعي ، 199/4

13. نظر المخطوط المقدمة .

14. ينظر المخطوط المقدمة .

15. البقاعي، نظم الدرر ، 170/5

16. البقاعي ، نظم الدرر ، 22/423.

17. البقاعي ، مصدر سابق ، 22/337-336-335

18. ينظر مقدمة مخطوط دلالة البرهان القويم .

19. ينظر مقدمة مخطوط دلالة البرهان القويم .

20. ينظر مقدمة تفسير آل عمران ،مخطوط دلالة البرهان القويم ، وينظر نظم الدرر نفس العبارات.

21. ينظر مخطوط دلالة البرهان القويم ، مقدمة تفسير سورة البقرة .

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image